

التصفيد

بين الحقيقة والهجاز

كتبه

أبو العباس أنور بن محمد بن الفاعل

الدمعية

t.me/anwar2014w

التَّصْفِيَّةُ

بين الحقيقة والمجاز

التصفيد

بين الحقيقة والهجاز

تأليف

أبي العباس أنور بن محمود الفاعلي

الفهرس

المقدمة.....	٤
معنى التصفيد.....	٦
خلاف العلماء في حقيقة التصفيد.....	٩
الراجع في بيان معنى التصفيد.....	١٣
عموم وخصوص التصفيد وهل كل الشياطين تصفد.....	١٧
هل التصفيد يكون عن أشياء دون أشياء وناس دون ناس.....	٢٠
الجواب على من قال إن التصفيد خاص بمن يسترق السمع.....	٢١
الحكمة من التصفيد.....	٢٧
الطاعون في رمضان وبطلان منافاته لحديث التصفيد.....	٢٨
التصفيد ورفع العذر في رمضان.....	٢٩
التصفيد لا يعني العجز الكلي.....	٣٠
شبهات حول التصفيد.....	٣٢

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحابه والتابعين

أما بعد:

فهذه رسالة قصيرة بعنوان (تصفيد الشياطين بين الحقيقة والمجاز واليقين) قصدت بها الانتصار للحق المبين وبيان زيف المبطلين، بالنص والترجيح والشرح والتوضيح

كما أنني لم أحصرها بالرد على الشبهات وبيان التلبيسات بل ضمنيتها العديد من الفوائد والفرائد ونفائس المعلومات المبنية على الدلالات والاستنتاجات والنقولات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معنى التصفيد

التصفيد يطلق على القيد في الأقدام والغل على الأيدي والأعناق ومنه قوله تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ أي تسحبهم زبانية الجحيم.

وهكذا قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾

❖ قال العلامة السعدي (٤٢٨/١):

أي: يسلسل كل أهل عمل من المجرمين بسلاسل من نار فيقادون إلى العذاب في أذل صورة وأشنعها وأبشعها اهـ.

قال العلامة ابن كثير (٥٢٢/٤):

والأصفاد: هي القيود، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، والأعمش، وعبد الرحمن بن زيد. وهو مشهور في اللغة، قال عمرو بن كلثوم.

فَأَبُوا بِالْثِيَابِ وَبِالسَّبَايَا وَأُبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَ (١)

ويطلق التصفيد على معنيين:

الأول: الشد والربط

الثاني: البذل والعطاء

قال الجوهري في "الصحاح" (٣٨٩/١):

(١) تفسير ابن كثير (٥٢٢/٤)

صفده يصفده صفدا. أي شده وأوثقه. وكذلك التصفيد والصفد بالتحريك: العطاء. والصفد أيضا: الوثاق. وأصفدته إصفادا، أي أعطيته مالا، ووهبت له عبدا. والصفاد: ما يوثق به الأسير من قيد وغل. والأصفاد: القيود اه.

وقال ابن فارس في "معجم المقاييس واللغة" (٢٩٣/٣):

الصاد والفاء والذال أصلان صحيحان: أحدهما عطاء، والآخر شد بشيء. فالأول الصفد؛ يقال أصفدته، إذا أعطيته. قال:

هذا الثناء فإن تسمع لقائله فما عرضت أبيت اللعن بالصفد
وأما الصفد فالغل، ويقال الصفد التقييد. والأصفاد: الأقياد. والصفاد: القيد أيضا. قال:

هلا مننت على أخيك معبد والعامري يقوده بصفاد

وفي الحديث: "إذا دخل شهر رمضان صفدت الشياطين" اه

قال القرطبي في "المفهم" (١٠٣/٩):

وصفدت الشياطين: غللت وقيدت. والصفد: الغل، وذلك لثلاث تفسد الشياطين على الصائمين اه

وقال (١٠٣/٩):

وتصفيد الشياطين: عبارة عن كسر شهوات النفوس التي بسببها تتوصل الشياطين إلى الإغواء والإضلال اه

وقال ابن العربي في "المسالك" (٢٤٤/٤):

قوله: "وصفدت الشياطين" يعني شدت في الصفاد، وهي الآلة التي تصفد بها اليدان والرجلان. والتصفيد بتخفيف الفاء هو الغل عند العرب، والشياطين

هم خلق من خلق الله، وهم ذرية إبليس - لعنه الله-، وهم أجسام يأكلون
ويطعمون ويشربون ويولدون ويموتون ويعذبون ولا ينعمون بحال اهـ.

وقال العلامة محمد الأمين الهرري الذرعي في "الكوكب الوهاج"
(٣٢٧/١٢):

(وصفت الشياطين) بالمهملة المضمومة بعدها فاء مشددة مكسورة أي شدت
بالأصْفاد وهي الأغلال وهي الآلة التي تعقل بها اليدان والرجلان وهو بمعنى
(سلسلت) في الرواية الأخرى اهـ.

انتهى الحديث عن معنى التصفيد من أقوال علماء التفسير والفقه
واللغة

خلاف العلماء في حقيقة التصفيد

اختلف العلماء حمهم الله تعالى في المراد من تصفيد الشياطين على قولين مشهورين:

الاول: أنه تصفيد حسي: أي أنه تصفيد على الحقيقة

الثاني: أنه تصفيد معنوي: أي أنه تصفيد على المجاز

ذكر بعض من حكي الخلاف

قال ابن بطلال في "شرح البخاري" (٢٠ / ٤):

وتأول العلماء في قوله: (فتحت أبواب الجنة وسلسلت الشياطين)، معنيين.

- **أحدهما:** أنهم يسلسلون على الحقيقة، فيقل أذاهم ووسوستهم ولا يكون ذلك منهم كما هو في غير رمضان، وفتح أبواب الجنة على ظاهر الحديث.

- **والثاني:** على المجاز، ويكون المعنى في فتح أبواب الجنة ما فتح الله على العباد فيه من الأعمال المستوجب بها الجنة من الصلاة والصيام وتلاوة القرآن، وأن الطريق إلى الجنة في رمضان أسهل والأعمال فيه أرفع إلى القبول.

وكذلك أبواب النار تغلق بما قطع عنهم من المعاصي، وترك الأعمال المستوجب بها النار، ولقلة ما يؤخذ الله العباد بأعمالهم السيئة، يستنفذ منها ببركة الشهر أقواما ويهب المسيء للمحسن، ويتجاوز عن السيئات فهذا معنى الغلق، وكذلك قوله: (سلسلت الشياطين)، يعنى: أن الله يعصم فيه المسلمين أو أكثرهم في الأغلب عن المعاصي والميل إلى وسوسة الشياطين وغرورهم، ذكره الداودي والمهلب.

واحتج المهلب لقول من جعل المعنى على الحقيقة فقال: وبدل على ذلك ما يذكر من تغليل الشياطين ومردتهم بدخول أهل المعاصي كلها في رمضان في طاعة الله، والتعفف عما كانوا عليه من الشهوات، وذلك دليل بين اهـ.

وقال القاضي في "إكمال المعلم" (٥/٤):

وصفدت الشياطين:

قيل: يحتمل الحقيقة، وأن فتح أبواب الجنة وتغليق أبواب النار، علامة لدخول الشهر، وعظم قدره، وكذلك تصفيد الشياطين ليمتنعوا من أذى المؤمنين وإغوائهم فيه.

وقيل: يحتمل المجاز لكثرة الثواب والعفو، والاستعارة لذلك بفتح أبواب الجنة، وإغلاق أبواب النار.

وقد جاء في الحديث الآخر: "وفتحت أبواب الرحمة" وبأن الشياطين كالمصفدة لما لم يتم إغواؤهم بعصمة الله عباده فيه، ولم يفد خبث سعيها شيئا، ويكون

معنى تصفيد الشياطين هنا خصوصا عن أشياء دون أشياء، ولبعض دون بعض، أو على الغالب وجاء في حديث آخر: "صفدت مردة الشياطين"

وقد يكون فتح أبواب الجنة هنا عبارة عن عما يفتح الله على عباده من الطاعات المشروعة في هذا الشهر الذي ليست في غيره، من الصيام، والقيام، وفعل الخيرات، وأن ذلك أسباب لدخول الجنة، وأبواب لها.

وكذلك تغلق أبواب النار، وتصفيد الشياطين عبارة عن عما يكفه الصوم، والشغل بفعل الخير في هذا الشهر، وعظم قدره في القلوب، وما جاء في النهي فيه عن أن يرفث، أو يجهل، والكف فيه عن المحارم والمعاصي، وأن الصوم مانع عن كثير من المباحات، فكيف بما وراء ذلك، ومكفر للسيئات اهـ

ولخص السيوطي الخلاف في "الديباج" (٨١/٣) فقال:

وصفدت الشياطين أي غلت قال القاضي يحتمل أنه على ظاهره حقيقة ويحتمل المجاز ويكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو وأن الشياطين يقل إغواؤهم وإيذاؤهم فيصرون كالمصفدين اهـ

قال الزرقاني في شرح الموطأ (٢٦٩/٢):

هكذا أبدى القاضي عياض احتمالي الحقيقة والمجاز على السواء ونقله النووي وأقره ورجح القرطبي وابن المنير الحقيقة إذ لا ضرورة تدعو إلى صرف اللفظ عن ظاهره وقال ابن العربي لا تمتنع الحقيقة لأنهم ذرية إبليس يأكلون ويشربون

ويطؤون ويموتون ويعذبون ولا ينعمون وقال ابن بريزة يدل على أن التصفيد حقيقة ما في كثير من الأخبار أنها تصفد وترمى في البحر اه

قال ابن العربي في "القبس" (٢٨٠/١):

وقوله: (صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ) يحتمل الحقيقة بأن تغلّ بالحديد، ويحتمل المجاز ويكون عبارة عن كفها عن الاسترسال على الخلق، كما كانت تسترسل على الخلق قبل ذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ عبارة عن الكف عن العطاء والحقيقة عندي أولى فإنها أبلغ في الهوان للشيطان اه

وقال أبو الوليد الباجي "المنتقى شرح الموطأ" (٧٥/٢):

وقوله وصفدت الشياطين يحتمل أن يريد به على الوجه الأول أنها تصفد حقيقة فتمتنع من بعض الأفعال التي لا تطيقها إلا مع الانطلاق وليس في ذلك دليل على امتناع تصرفها جملة؛ لأن المصفد هو المغلول اليد إلى العنق يتصرف بالكلام والرأي وكثير من السعي.

ويحتمل على الوجه الثاني أن هذا الشهر لبركته وثواب الأعمال فيه وغفران الذنوب تكون الشياطين فيه كالمصفدة؛ لأن سعيها لا يؤثر وإغواءها لا يضر والحمد لله الذي تفضل على عباده ويحتمل أن يريد صنفا من الشياطين يمنعون التصرف جملة، والله أعلم وأحكم اه

الراجع في بيان معنى التصفيد

ترجيح الحقيقة مقدم على المجاز لثلاثة أسباب:

الأول: أن الأصل في خطاب الشرع هو الحقيقة ولا يقال بالاستعارة إلا بقريضة ناقله وواضحة

الثاني: إن التصفيد المعنوي على صحة التعبير ليس من خصوصيات رمضان بل هو حاصل طوال السنة؛ وذلك أنهم جعلوا التصفيد متعلق بالطاعات فمن كثرت طاعاته وتطهر قلبه فصلح ظاهره وباطنه تقيدت الشياطين عنه؛ ومثاله كما أن السيف بحسب ساعد السيف فمن كان ساعده مفتولاً وقوياً كانت ضربته بالسيف قوية والعكس بالعكس من ذلك فإن قليل الطاعات والمتورط بالسيئات فإن الشياطين تتسلط عليه ولا يكون عنده من القوة ما تكفيه لمواجهتها واضعافها.

وعلى هذا المذهب يكون المعنى أن الشيطان الواحد مقيد عن فلان وفي نفس الوقت غير مقيد عن فلان الآخر؛ لفارق القوة الايمانية والتحصينية بينهما

وهذا القول رغم ظاهر قوته إلا أنه ضعيف، بل ضعيف جداً؛ لأن العلة التي ذكروها حق ولكنها تصلح في رمضان وفي غير رمضان؛ فمن كانت طاعاته كثيرة بل حتى لو قلت مع قوة صدقه واخلاصه كانت الشياطين أمامه

ضعيفة في رمضان وفي غيره؛ وذلك أنه على قدر قربك من الله تبتعد عنك الشياطين وهذا متأثّر في رمضان وفي غير رمضان ونحن نريد تفسيراً يجعل التصفيد من خصوصيات رمضان كما هو ظاهر النصوص وهذا متأثّر بالقول بالحقيقة لا بالمجاز أو الاستعارة

ومن هذا المنطلق يتضح أن هذا المذهب فيه ضعف؛ لأن التصفيد الذي ورد في السنة من خصوصيات رمضان فدل أنه صورة خاصة غير متواجدة في غير رمضان أنتج أن أي شرح يعممه لرمضان وغيره فإنه شرح غير صحيح لقوله: (إذا جاء رمضان صفدت الشياطين) دل أنه صورة غير متواجدة في بقية الشهور حتى مع وجود الطاعات وهذا يؤكد تقديم الحقيقة

الثالث: أن الحقيقة أبلغ في اذلال الشيطان وأما المجاز فتكون الصورة كالكر والفر

قال ابن العربي في "القبس" (١ / ٢٨٠):

والحقيقة عندي أولى فإنها أبلغ في الهوان للشيطان اهـ

قال شهاب الدين التوربشتي في "الهيبر في شرح مصابيح السنة"
(٢ / ٥٦٤):

ولنا أن نحمل ذلك على ظاهره كما نحمل قوله سبحانه ﴿وَأَخْرَجَ مَقْرِنَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ﴾ على الظاهر، فإن قال قائل: فما أمانة ذلك ونحن نرى الفاسق في رمضان قلما يرعوي عن فسقه وإن ترك باباً منه أتى باباً آخر حتى

أن من هذه الزمرة من يتولى قتل النفس وقطع الطريق، وغير ذلك من المناكير والعظائم؛ قلنا أمانة ذلك تنزه أكثر المنهمكين في الطغيان عن المعاصي ورجوعهم إلى الله بالتوبة وإكبابهم على إقام الصلاة بعد التهاون بها، وإقبالهم على تلاوة كتاب الله واستماع الذكر بعد الإعراض عنهما، وتركهم ارتكاب المحظورات بعد حرصهم عليها. وأما ما يوجد من خلاف ذلك في بعضهم ويؤنس عنهم من الأباطيل والأضاليل فإنها تأثيرات من تسويلات الشياطين أعرق في عرق تلك النفوس الشريرة وباضت في رؤوسها، وقد أشار بعض العلماء فيه إلى قريب من المعنى الذي ذكرنا.

قلت: وأمثلة من هذا أن نقول: قوله: (وصفدت الشياطين) وإن كان مشعرا بالعموم فيه، فإن التخصيص فيه غير بعيد ويؤيد هذا التأويل ما ورد في بعض طرق هذا الحديث: (وسلسلت مرده الشياطين) ويصح أن يستثني منهم في التصفيد صاحب دعوتهم وزعيم زمرة لمكان الإنظار الذي سألته من الله فأجيب إليه فيقع ما يقع من المعاصي بتسويله وإغرائه.

فإن قيل وإذا قدر الأمر على نحو ما ادعيتم فأني فائدة في تصفيد من صفد إذا كان أصل الشر مستمرا على حاله؛ قلنا: الفائدة فيه فض جموحه وكسر شوكته وتسكين نائرتة ولو لم يكن الأمر على ذلك لم يكن لاستظهاره بالأعوان والجنود معنى، هذا وقد ذهب بعض العلماء إلى أن التصفيد إنما كان في زمان الوحي لئلا يتمكن مرده الجن وعتاة الشياطين من الرقي في أسباب السماء لاستراق السمع فقد كان القرآن ينزل في كل ليلة قدر ما قدر أن ينزل

منجما على حسب الوقائع في سائر السنة، والسماء وإن كانت محفوظة بالشهب الثاقبة من كل شيطان ما رد فيجوز أن يزداد في حراستها بتصفيد الشياطين تشديدا للأمر عليهم ومبالغة في الحراسة، وكل ذلك راجع إلى فضل ذلك الشهر المبارك وشرف أيامه ولياليه.

قلت: ويحتمل أن يكون المراد من التصفيد المذكور حسم أطماعهم من إغواء الصوم بما وطنوا أنفسهم عليه من المجاهدات ونوافل العبادات، وليس الأمر في ذلك بأكثر مما ورد به الكتاب من غير إشكال في بيانه، وذلك قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ في نظائر كثيرة من الكتاب اهـ

قال ناصر الدين الزين بن المنير ^{رحمته} كها في "الكوكب الوهاج" (١٢/٣٢٧):

والأول أوجه ولا ضرورة إلى صرف اللفظ عن ظاهره اهـ

عموم وخصوص التصفيد

هل كل الشياطين تصفد

من تتبع النصوص وجد أن التصفيد جاء مشروطاً ومضبوطاً بأمور وحاصلها أربعة:

الأول: أنه خاص برمضان لقوله ﷺ: (إذا جاء رمضان) فدل أنه صورة غير متواجدة في بقية الشهور كما سبق

الثاني: أنه خاص بالشياطين وظاهره خروج الجن الذين ليسوا بشياطين فلا يشملهم التصفيد

الثالث: وجاء بلفظ (تصفد الشياطين ومردة الجن) فإن كان المراد بالواو هو المغايرة فإنه يدل أنه ليس كل مارد من الجن يكون شيطاناً وأن التمرد درجات متفاوتة فدخل في التصفيد فئة من الجن لا كلها وعموم الشياطين على ظاهر النص هنا

الرابع: أنه جاء في بعض الألفاظ مقيداً بمردة الشياطين فدل أنه ليس كل الشياطين تصفد، بل مردتها وهذا يحمل المطلق في قوله: (وصفدت الشياطين) على المقيد بقوله: (مردة الشياطين) وعليه الكثير من أهل العلم وقد يراد بالشياطين (الأغلب) وبالمردة (الكل) وهذا الراجح عندي بدلالة حديث: (إنها

صفية) وفيه: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم) قال هذا في رمضان وهي مصفدة فدل أنها ليست مصفدة جميعها

والحاصل أن التي تصفد ثلاثة

- **الأولى:** مردة الجن وهم صنف مؤذ للمسلمين إلا أنهم لم يصلوا لمرحلة يصيرون بها من الشياطين
- **الثانية:** الشياطين: وهم من الجن إلا أنهم شياطين وهم أعلى درجة من مردة الجن والمراد غالبهم كما سبق
- **الثالثة:** مردة الشياطين وهم أعلى درجة من الشياطين دونها

قال ابن العربي ففي "الهمالك" (٢٤٤٤/٤):

أما قوله: "صفدت الشياطين" فمن الناس من قال: إنه حمل المطلق على المقيد، وليس كذلك، وإنما هو من باب الخاص والعام، وذلك قوله: "صفدت الشياطين" عام في المردة وغيرهم. وقوله: "صفدت المردة من الشياطين" خاص في المردة لا غير. والأصل في هذا الباب - أعني من الخاص والعام - أن الخاص والعام إذا وردا، لا يخلو أن يكونا متفقين أو مختلفين، فإن كانا متفقين، كان الخاص على خصوصه والعام على عمومه، ويكون في الخاص زيادة فائدة.

مثال ذلك: قوله - عليه السلام -: "لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس، ولا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس" هذا عام في الوقت كله

وحديث عبد الله بن عمر: "لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا صلاة بعد الصبح ولا غروبها" هذا خاص في هذا الوقت.

فقال عوام الفقهاء: إن الخاص يقضي على العام بحديث ابن عمر.

قلنا: هذا خطأ، بل يبقى العام على عموميه والخاص على خصوصه؛ لأن معناه واحد، وهما متفقان، وإنما يقضي الخاص على العام إذا كانا مختلفين كما قدمناه. فإذا كانا مختلفين، فيقضي الخاص فيه على العام، وقد بيناه في بابه في أول الكتاب، فلينظر هنالك.

وقوله: "صفدت الشياطين" عام في المردة وغيرهم، وقوله: "مردة" خاص في المردة، وهما متفقان، فلا بد من زيادة فائدة في قوله: "مردة"؛ لأننا إن قلنا: إن العموم يدخل تحت المردة وغيرهم، فما فائدة تكرارهم في الاختصاص؟ قلنا: فائدة ذلك تأكيد التحريم في قوله: "لا تحروا بصلاتكم هذين الوقتين" وفائدة تأكيد التصفيد لها ولا زيادة اختصاص اهـ.

هل التصفيد يكون عن أشياء دون أشياء وناس دون ناس

قال العلامة السيوطي في "الديباج" (١٨١/٣):

قال القاض: ويكون تصفيدهم عن أشياء دون أشياء وناس دون ناس قال: ويؤيد ذلك رواية (فتحت أبواب الرحمة) وجاء في حديث آخر (صفدت مردة الشياطين) قال: ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله تعالى لعباده من الطاعات في هذا الشهر مما لا يفتح في غيره عموماً كالصيام والقيام وفعل الخيرات والانكفاف عن كثير من المخالفات وهذه أسباب لدخول الجنة وأبواب لها وكذلك تغلق أبواب النار وتصفيد الشياطين عبارة عن ما ينكفون عنه من المخالفات اهـ

وقال الزرقاني في الحاشية (٢٦٨/٢):

ويكون تصفيدهم عن أشياء لناس دون ناس اهـ

قلت: هذا القول ينطبق مع القول بالمجاز وهو قول مرجوح بحسب ما سبق بيانه وتوضيحه والصواب أنها مصفدة حقيقة عن عموم الناس

الجواب على من قال إن التصفيد خاص بمن يسترق السمع

وقيل: المراد من الشياطين مسترق السمع منهم فإنهم كانوا منعوا زمن
نزل القرآن من استراق السمع فزيدوا التسلسل مبالغة في الحفظ (١)

قال الحلبي: يحتمل أن يكون المراد أن الشياطين مسترقو السمع منهم وأن
تسلطهم يقع في ليالي رمضان دون أيامه لأنهم كانوا منعوا في زمن نزول القرآن
من استراق السمع فزيد والتسلسل مبالغة في الحفظ اهـ (٢)

قلت: وهذا المذهب ظاهره القوة لأن مسترقي السمع منعوا عن السماع في
زمن النبوة كي لا يستمعون شيئاً من القرآن فينزلون به إلى الكهان فيلتبس
الأمر على الناس بتوافق ما يتلوه عليهم النبي صلى الله عليه وسلم مع ما يتلوه
عليهم الكهان.

(١) انظر "مرعاة المفاتيح" (٤٠٢/٦)

(٢) حاشية السيوطي على النسائي (٣٢٨/٣)

ولهذا قال الجن: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا
وَشُهْبًا (٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهْبًا
رَصَدًا (٩)﴾

وعندما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم آمن بعضهم واستمر على
الكفر بقيتهم كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ
الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩)
قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي
إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ
يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١)﴾

وشهر رمضان هو شهر نزول القرآن فأيد هذا تصفيدهم في رمضان
وعلى هذا يبي أن التصفيد خاص بمسترقى السمع

والجواب:

أن التقييد بمسترقى السمع مجرد تأويل لا دليل؛ ولأن ظاهر الأدلة ترده
فهو تأويل ضعيف؛ والتعليل بامتناعهم من استراق السمع زمن نزول القرآن لا
يعني تخصيص تصفيدهم دون غيرهم في شهر القرآن لأن منعهم من السمع بدأ
في زمن نزول الوحي طوال البعثة النبوية وقد كان القرآن ينزل على نبينا في
رمضان وفي غيره

والتقييد بمنع الاستراق في رمضان يلزم منه حصوله في غيره وهذا
مردود بقوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرًّا شَدِيدًا وَشُهَبًا
(٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا
(٩)﴾

فالآية تدل على التغيرات التي أرعبت الجن في زمن النبوة المحمدية
ومنها أن السماء امتلأت بالحرس والشهب وأنهم أصبحوا غير قادرين على
استراق السمع وكان هذا في زمن نبوة محمد عليه الصلاة والسلام في كل أشهر
السنة وتخصيصه في رمضان خطأ من صاحبه وخبره صلى الله عليه وسلم أن
الشياطين تصفد في رمضان دليل على تصفيد مخصوص بهذا الشهر فخرج
مسترقى السمع لأنهم منعوا من ذلك طوال السنة

كما أن مسترقى السمع منعوا من استراق السمع دون تصفيد
فلمسههم للسماء وعدم قدرتهم على القعود للسمع دليل على ذلك.
ونزول القرآن في رمضان كان الى بيت العزة وليس على النبي صلى الله عليه
وسلم

واستراق السمع ليس خاصا بسماع القرآن بل بما يوحيه الله تعالى من أمور
الشرع والقدر

واستراق السمع له ثلاثة أحوال:

الحال الأول: قبل البعثة

أي في زمن الجاهلية وقد كان الاستراق متأت وحاصل كما في قول الجن:
﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ أي أنهم كانوا يسترقون السمع ولا
يتعرضون للشهب

وقد أخبر النبي ﷺ أنهم يلتقطون الكلمة ويزيدون عليها مئة كذبة والظاهر أن
هذا الحديث يعني هذه المرحلة وهو استراق لليسير وغير مؤثر ولكن كان أهل
الجاهلية يصدقون المئة كذبة بسبب الصواب الواحد

الحال الثاني: زمن البعثة

تغير الأمر وامتألت السماء بالحرس والشهب التي يرمى بها مسترقي السمع
كما قالت الجن: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا
(٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَنَنْسْتَمِعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا
(٩)﴾

وفي هذه المرحلة منع الاستراق تماما وكل مسترق يرمى بشهاب يقضي عليه
ولا يمكنه تجاوز تلك الحراسة الملكية المهيبة والعظيمة ولا يمكن أن تخطئهم تلك
الشهب الحارقة والمحركة

الحال الثالث: بعد موت النبي ﷺ

وهذا محل خلاف بين العلماء هل استمر المنع أم عاد لما كان عليه قبل نزول
الوحي ورجح العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى امكانية حصول الاستراق بعد
موت النبي ﷺ

والظاهر أن الاستراق انقطع بعد بعثة النبي ﷺ حتى تقوم الساعة؛ لقوله تعالى:
﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ
عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾

قال العلامة القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" (١٥/٦٦):

واختلف هل كان هذا القذف قبل المبعث، أو بعده لأجل المبعث، على قولين.
وجاءت الأحاديث بذلك على ما يأتي من ذكرها في سورة "الجن" عن ابن
عباس. وقد يمكن الجمع بينهما أن يقال: إن الذين قالوا لم تكن الشياطين ترمى
بالنجوم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم رميت، أي لم تكن ترمى رميا
يقطعها عن السمع، ولكنها كانت ترمى وقتا ولا ترمى وقتا، وترمى من جانب
ولا ترمى من جانب. ولعل الإشارة بقوله تعالى: "ويقذفون من كل جانب.
دحورا ولهم عذاب واصل" إلى هذا المعنى، وهو أنهم كانوا لا يقذفون إلا من
بعض الجوانب فصاروا يرمون واصبا. وإنما كانوا من قبل كالمتهجسة من
الإنس، يبلغ الواحد منهم حاجته ولا يبلغها غيره، ويزسألزم واحد ولا يزسألزم
غيره، بل يقبض عليه ويعاقب وينكل. فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم
زيد في حفظ السماء، وأعدت لهم شهب لم تكن من قبل، ليدحروا عن جميع
جوانب السماء، ولا يقرؤا في مقعد من المقاعد التي كانت لهم منها، فصاروا لا
يقدرؤن على سماع شي مما يجري فيها، إلا أن يختطف أحد منهم بخفة حركته
خطفة، فيتبعه شهاب ثاقب قبل أن ينزل إلى الأرض فيلقها إلى إخوانه
فيحرقه، فبطلت من ذلك الكهانة وحصلت الرسالة والنبوة. فإن قيل: إن هذا

القذف إن كان لأجل النبوة فلم دام بعد النبي صلى الله عليه وسلم؟ فالجواب: أنه دام بدوام النبوة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر ببطلان الكهانة فقال: "ليس منا من تكهن" فلو لم تحرس بعد موته لعادت الجن إلى تسمعها، وعادت الكهانة. ولا يجوز ذلك بعد أن بطل، ولأن قطع الحراسة عن السماء إذا وقع لأجل النبوة فعادت الكهانة دخلت الشبهة على ضعفاء المسلمين، ولم يؤمن أن يظنوا أن الكهانة إنما عادت لتناهي النبوة، فصح أن الحكمة تقضي دوام الحراسة في حياة النبي عليه السلام، وبعد أن توفاه الله إلى كرامته صلى الله عليه وعلى آله اهـ.

وقال العلامة الشوكاني "فتح القدير" (٥٥٠/٤):

واختلف هل كان هذا الرمي لهم بالشهب قبل المبعث أو بعده فقال بالأول طائفة وبالأخر آخرون وقالت طائفة بالجمع بين القولين: إن الشياطين لم تكن ترمى قبل المبعث رميا يقطعها عن السمع ولكن كانت ترمى وقتا لا ترمى وقتا آخر وترمي من جانب ولا ترمى من جانب آخر ثم بعد المبعث رميت في كل وقت ومن كل جانب حتى صارت لا تقدر على استراق شيء من السمع إلا من اختطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب اهـ

الحكمة من التصفيد

قال النووي "شرح مسلم" نقلا عن القاضي (١٨٨٨/٧):

وتصفيد الشياطين علامة لدخول الشهر وتعظيم حرمة ويكون التصفيد ليمتنعوا من إيذاء المؤمنين والتهويز عليهم اهـ

وقال ابن عبد البر "التهديد" (١٥٣/١٦):

وأما قوله وصفدت فيه الشياطين أو سلسلت فيه الشياطين فمعناه عندي والله أعلم أن الله يعصم فيه المسلمين أو أكثرهم في الأغلب من المعاصي فلا يخلص إليهم فيه الشياطين كما كانوا يخلصون إليه منهم في سائر السنة اهـ

وقال الزرقاني "شرح الموطأ" (٢٩٨/٢):

قال ابن بطال: "وسلسلت الشياطين" حقيقة أيضا معنا لهم من أذى المؤمنين والتشويش عليهم، أو مجاز عن كثرة الثواب والعفو اهـ

وقال العلامة بدر الدين العيني "مرعاة المفاتيح" (٢٧٠/١٠):

ويقال: تصفيد الشياطين عبارة عن تعجيزهم عن الإغواء وتزيين الشهوات اهـ

الطاعون في رمضان وبطلان منافاته لحديث التصفيد

قال الزرقاني في "شرح الموطأ" (٢٩٤/٤):

قيل: إذا كان الطعن من الجن فكيف يقع في رمضان والشياطين تصفد فيه وتسلسل؟

أجيب باحتمال أنهم يطعنون قبل دخول رمضان ولا يظهر التأثير إلا بعد دخوله، وقيل غير ذلك اهـ.

ونقله المباركفوري في "مرعاة المفاتيح" (٥٣٧/٩) ثم قال:

ويمكن أن يقال: إن المصنفد بعض الشياطين كما وقع في بعض الروايات وهم المردة لا كلهم فإن تصفيد الشياطين لا يستلزم تصفيد الجن كلهم اهـ

التصفيد ورفع العذر في رمضان

قال المباركفوري في "مرعاة المفاتيح" (٦/٢٠٤):

وقيل: في تصفيد الشياطين في رمضان إشارة إلى رفع عذر المكلف؛ كأنه يقال له: قد كفت الشياطين عنك، فلا تعتل بهم في ترك الطاعة، ولا فعل المعصية اهـ

قلت: الاعتذار بالشياطين مردود في رمضان وفي غيره، وتصفيدهم في رمضان فرصة لتهيئة النفس لبعد رمضان؛ فإن أرباح التجارة مع الله في رمضان تبقيك غنياً بالتقوى حتى بعد رمضان؛ وفقير التقوى هو من فوت الفرصة ولهذا فتصفيد الشياطين في رمضان حجة علينا طوال العام اهـ

التصفيد لا يعني العجز الكلي

جاء هذا الحديث بلفظ: (وَيُصْفَدُ فِيهِ مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينِ، فَلَا يَخْلُصُوا فِيهِ إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ)

فدل الحديث أن لهم قدرة محدودة للخلاص إلى نبي آدم إلا أنها ليست بالقدرة نفسها التي يتمكنون بها في غير رمضان

قال ابن عبد البر في "التهديد" (١١٦٦/١٥٥٣):

وأما قوله وصفدت فيه الشياطين أو سلسلت فيه الشياطين فمعناه عندي والله أعلم أن الله يعصم فيه المسلمين أو أكثرهم في الأغلب من المعاصي فلا يخلص إليهم فيه الشياطين كما كانوا يخلصون إليه منهم في سائر السنة وأما الصفد بتخفيف الفاء في كلام العرب فهو الغل فعلى هذا سواء قول صفدت الشياطين أو سلسلت الشياطين يقال صفدته أصفده صفدا وصفودا إذا أوثقته والاسم الصفاد والصفاد أيضا حبل يوثق به وهو الصفد أيضا والجمع أصفاد والصفد الغل اهـ

وقال الحلي:

ويحتمل أن المراد أن الشياطين لا يخلصون من افتتان المسلمين إلى ما يخلصون إليه في غيره لاشتغالهم بالصيام الذي فيه قمع الشهوات وقراءة القرآن والذكر اهـ (١)

قلت: لا داعي للاحتمال مع ثبوت النص فالنص دال على اليقين والاحتمال يكون في التأويل

قال العلامة ابن عثيمين "الفتاوى" (٤٨/٢٠):

سئل فضيلة الشيخ - رحمه الله تعالى - : كيف يمكن التوفيق بين تصفيد الشياطين في رمضان ووقوع المعاصي من الناس؟

فأجاب فضيلته بقوله: المعاصي التي تقع في رمضان لا تنافي ما ثبت من أن الشياطين تصفد في رمضان، لأن تصفيدها لا يمنع من حركتها، ولذلك جاء في الحديث: «تصفد فيه الشياطين، فلا يخلصون إلى ما يخلصون إليه في غيره» وليس المراد أن الشياطين لا تتحرك أبداً، بل هي تتحرك، وتضل من تضل، ولكن عملها في رمضان ليس كعملها في غيره اهـ.

(١) شرح الزرقاني على موطأ مالك (٢/٢٦٩) وشرح السيوطي على سنن النسائي (٤/١٢٦)

شبهات حول التصفيد

الشبهة الأولى: وجود المعاصي في رمضان

هناك من يدعي أن تواجد الذنوب والمعاصي في رمضان دليل على عدم تصفيد الشياطين.

والجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أن النص إذا ثبت لم يجز رده ولا تأويله بما يخالف معناه بل يؤول بالمعنى المقصود منه فإن التعارض إن حصل فهو حاصل في فهمك للنصوص لا في النصوص نفسها

الثاني: أنه ليست كل الشياطين مصفدة كما هو الحال في الجمع بين النصوص؛ لأن تصفيد الشياطين جاء في بعض الروايات أن المصفدة هي مردتها والذي يظهر أن الشياطين غير المصفدة ليس لها سلطان يمكنهم من حصول المعاصي بالنحو الذي يحصل في غير رمضان.

الثالث: أن الشياطين مصفدة والنفس الأمارة غير مصفدة فإن كانت فاسدة قبل رمضان فإنها قد تضل صاحبها في رمضان وتعمل بالنيابة عن الشيطان في رمضان

الرابع: أن التصفيد يكون عن الأفعال لا عن الأقوال فهي قادرة على الوسوسة والتسويل وهذا قاله أبو الوليد الباجي وسيأتي في الشبهة الثانية

قال العلامة بدر الدين العيني في "عمدة القاري" (٢٦٦/١٦):

فإن قلت: قد تقع الشرور والمعاصي في رمضان كثيرا فلو سلسلت لم يقع شيء من ذلك قلت هذا في حق الصائمين الذين حافظوا على شروط الصوم وراعوا آدابه وقيل المسلسل بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم كما تقدم في بعض الروايات والمقصود تقليل الشرور فيه وهذا أمر محسوس فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره وقيل لا يلزم من تسلسلهم وتصفيدهم كلهم أن لا تقع شرور ولا معصية لأن لذلك أسبابا غير الشياطين كالنفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الأنسية اهـ

وقال العلامة القرطبي في المفهم (١٠٣/٩):

فإن قيل: فنرى الشرور والمعاصي تقع في رمضان كثيرا؛ فلو كانت الشياطين مصفدة لما وقع شر؟

فالجواب من أوجه:

أحدها: إنما تغل عن الصائمين الصوم الذي حوفظ على شروطه، وروعت آدائه، أما ما لم يحافظ عليه فلا يغل عن فاعله الشياطين.

الثاني: أنا لو سلمنا أنها صفدت عن كل صائم، لكن لا يلزم من تصفيد جميع الشياطين، أن يقع شر؛ لأن لوقوع الشر أسبابا آخر غير الشياطين، وهي: النفوس الخبيثة، والعادات الركيكة، والشياطين الإنسية.

والثالث: أن يكون هذا الإخبار عن غالب الشياطين، والمردة منهم، وأما من ليس من المردة فقد لا يصفد. والمقصود: تقليل الشرور والفواحش. وهذا موجود في شهر رمضان؛ لأن وقوع الشرور والفواحش فيه قليل بالنسبة إلى غيره من الشهور.

وقيل: إن فتح أبواب الجنة وإغلاق أبواب النار علامة على دخول هذا الشهر العظيم للملائكة وأهل الجنة؛ حتى يستشعروا عظمة هذا الشهر، وجلالته.

ويحتمل أن يقال: إن هذه الأبواب المفتحة في هذا الشهر هي: ما شرع الله تعالى فيه من العبادات، والأذكار، والصلوات، والتلاوة؛ إذ هي كلها تؤدي إلى فتح أبواب الجنة للعاملين فيه، وغلق أبواب النار عنهم اهـ.

وقال العلامة المناوي في "فيض القدير" (٥٢/٤):

ولا ينافيه وقوع الشرور فيه لأنها إنما تغل عن الصائم حقيقة بشروطه أو عن كل صائم والشر من جهات آخر كالنفس الخبيثة أو المقيد هو المتمرّد منهم فيقع الشر من غيره اهـ

وقال العلامة المباركفوري في "مرعاة المفاتيح" (٤٠٠/٦):

وقريب من هذا المعنى ما قيل إن صدور المعاصي في رمضان ليس من أثر الشيطان بل من أثر النفس الإمارة التي تشربت من أثر الشيطان في سائر السنة، فإن النفس لما تصبغت بلونه تصدر منها أفعاله، والفائدة إذ ذاك في تصفيد الشيطان ضعف التأثير في ارتكاب المعاصي فمن أراد التجنب عن ذلك يسهل عليه اهـ

وقال العلامة ابن العربي:

وقد استراب مريب فقال نرى المعاصي في رمضان كما هي في غيره فما هذا التصفيد وما معنى الحديث وقد كذب وجهل فإنه لا يتعين في المعاصي والمخالفة أن تكون من وسوسة الشيطان إذ قد يكون من النفس وشهواتها سلمنا أنه من الشيطان فليس من شرط وسوسته التي يجدها الإنسان في نفسه اتصالها بالنفس إذ قد يكون مع بعده عنها لأنها من فعل الله فكما يوجد الألم في جسد المسحور والمعيون عند تكلم الساحر أو العاين فكذلك يوجد عند وسوسته من خارج أو أن المراد بالشياطين المردة لأنهم في الكفر والتمرد طبقات فتصفد المردة لا غير فتقل المخالفات ولا شك في قتلها في رمضان فمن زعم أنها فيه كغيره فقد باهت وسقطت مكالمته اهـ^(١)

(١) ذكره الزرقاني في "شرح الموطأ" (٢٦٩/٣) والخطيب التبرزي في "مشكاة المصابيح" (٧٩٦/٦) والمباركفوري في "مرعاة المفاتيح" (٤٠٢/٦)

وقال ابن العربي في "القبس" (٢٨١/١):

فإن قيل فنحن نرى المعاصي تجري في رمضان كما كانت تجري قبله فأين التصفيد أو فائدته؟

فالجواب عن ذلك من وجهين:

أحدهما: أنا نقول قد روي في الحديث: "وَصُفِّدَتْ مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينِ" فيحتمل أن يريد به أهل الخبث والدهاء منهم يصفدون فيذهب جزء من الشر كبير بهم ونحن نشاهد قلة المعاصي في رمضان فلا يجوز إنكار ذلك.

الثاني: أن يكون معناه في تصفيد الشياطين كلهم عن الاستطالة بأبدانهم ويبقى تسليطهم بالوسوسة والدعاء إلى الشهوات والتنبيه على المعاصي وللشيطان على الإنسان استطالتان:

- **إحداهما:** على يديه بالقتل والضرب كما قتلوا سعد بن عباد، وكما قتلوا الأنصاري الذي دخل على أهله من الخندق وكان حديث عهد بعرس.

- **الثانية:** استطالته على قلبه بالوسوسة فإذا جاء رمضان صُفِّدوا عن الاستطالة البدنية وبقي الاسترسال على وسوسة القلب اهـ

وقال السندي في "حاشيته على النسائي" (١٢٧/٤)

ولا ينافيه وقوع المعاصي إذ يكفي في وجود المعاصي شرارة النفس وخبائثها ولا يلزم أن تكون كل معصية بواسطة شيطان والا لكان لكل شيطان شيطان

ويتسلسل وأيضا معلوم أنه ما سبق إبليس شيطان آخر فمعضيته ما كانت الا من قبل نفسه والله تعالى أعلم اهـ

الشبهة الثانية: وجود الوسوسة:

الوسواس بهذا الاعتبار على قسمين: وسوسة بتزيين المعاصي والفواحش ونحوها ووسوسة مرضية

الأول: الوسواس بالمعاصي:

وهو على قسمين:

- **الأول:** قد يكون من عمل الشيطان وقد يكون من عمل النفس

الأماره بالسوء فنسبته للشيطان في رمضان مع وجود النفس الأماره

من التكلف والقطع بالغيب، وقد قال تعالى عن السامري: ﴿وَكَذَلِكَ

سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ فدل أن النفس تعمل بدون شيطان

- **الثاني:** أنه لا مانع عند بعض العلماء من وسوسة الشيطان في رمضان

كما سبق لأن الشياطين تصفد عن الأفعال لا عن الأقوال والوسواس

من الأقوال لا من الأفعال فالتصفيد يكون على الأطراف وليس على

النطق

قال العلامة أبو الوليد الباجي "المنتقى شرح الموطا" (٧٥/٢):

وليس في ذلك دليل على امتناع تصرفها جملة؛ لأن المصنف هو المغلول اليد إلى

العنق يتصرف بالكلام والرأي وكثير من السعي اهـ.

الثاني: الوسواس المرضي:

وهذا قد يكون بسبب الأخلاط والأبخرة السوداء ويدخل في ذلك أمراض القولون، وقد يكون بسبب جرثومة المعدة، وقد يكون بسبب السحر وبما أن السحر مكون من مادي ومعنوي أو معنويين فلا يستلزم وجود شيطان حين شغله.

ومع ذلك فبعض العلماء يرى أنه لا مانع من حصول الوسوسة الشيطانية في رمضان وأن التصفيد لا يشملها ولعل هذا مثل وسوسة ابليس لأبينا آدم مع أن آدم كان داخل الجنة وابليس كان خارجها وقد اختلف العلماء في كيفية وقوع ذلك!! بينتها في رسالة ثم فقدتها ومن ضمن الأقوال إنه وسوس له من بعيد منهم من قال: من خارج أسوار الجنة ومنهم من قال: من الأرض الى الجنة، وليس هنا محل التفصيل في هذه المسألة

الشبهة الثالثة: الاستعاذة في رمضان

وأصحاب هذه الشبهة يريدون بها أن الشياطين إن كانت مصفدة في رمضان فلا حاجة للاستعاذة وهذا يدخل فيه ترك الأذكار الخاصة بالتحصينات وترك سد الخلل في صفوف الصلاة وترك الاستعاذة من الخبث والخبائث عند دخول الخلاء.. الخ

والجواب:

أن هذه الأمور بجانب ماهي تحصينات فهي تعبدية فنحن نستعيد بالله من الشيطان في مواطن قد تكون خالية من الشياطين؛ ولا نستبعد أن أهمل ذلك أو بعضه في رمضان تعرض لعاقبة ذلك بعد رمضان

الشبهة الرابعة: المس في رمضان

والجواب:

أن المس قد يحصل من الجن في رمضان فهم لا يشملهم التصفيد وقد يحصل من الشياطين قبل رمضان فتصفد في مكانها داخل الجسد فتضعف قواها وهي في مكانها في الجسد

قال العلامة ابن عثيمين "الفتاوى" (٤٨/٢٠):

سئل فضيلة الشيخ رحمه الله تعالى: بالنسبة لأيام رمضان الجليل يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فيه: «تصفد الشياطين». ومع ذلك نرى أناساً يصرعون في نهار رمضان، فكيف تصفد الشياطين وبعض الناس يصرعون؟ ثم هل معنى الحديث أنه إذا كان هناك بيت مسكون أو من الجن من يتعرض للناس في البر، ويظهر بأشكال مختلفة من حيات وكلاب أنها لا تظهر في رمضان مع العلم أن هناك منزلاً في منطقة... يضع أهله الأغراض فيه، وإذا أتى المساء لا يجدون الأغراض، بل يجدونها خارج المنزل، فهل مثل هذه الحالات فقط تظهر في رمضان، وأن مسألة الصرع هي التي تظهر؟

فأجاب فضيلته بقوله: في بعض روايات الحديث: «تصفد فيه مردة الشياطين» أو «تغل» وهي عند النسائي، ومثل هذا الحديث من الأمور الغيبية التي موقفنا منها التسليم والتصديق، وأن لا نتكلم فيما وراء ذلك، فإن هذا أسلم لدين المرء وأحسن عاقبة، ولهذا لما قال عبدالله ابن الإمام أحمد بن حنبل لأبيه: إن الإنسان يصرع في رمضان. قال الإمام: هكذا الحديث ولا تكلم في ذا. ثم إن الظاهر تصفيدهم عن إغواء الناس، بدليل كثرة الخير والإنابة إلى الله تعالى في رمضان اهـ.

الشبهة الخامسة: إنها صفية

ثبت أن الشياطين تصفد في رمضان فكيف يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم) وقال هذا وهو صائم ومعتكف في رمضان؟

والجواب:

هذا الحديث يدل على الحقيقة والاستعارة معاً فإنه قد يدخل الجسد وقد يوسوس للقلب دون دخول الجسد، فالأول جريان حقيقي والثاني جريان استعاري

قال المباركفوري "تحفة النوحدي" (٢٨٢/٤):

يحتمل الحقيقة بأن جعل له قدرة على الجري في باطن الإنسان ويحتمل الاستعارة لكثرة وسوسته اهـ

قال الامام النووي "شرح مسلم" (١٥٧/١٤):

قال القاضي وغيره:

قيل: هو على ظاهره وأن الله تعالى جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الانسان مجاري دمه.

وقيل: هو على الاستعارة لكثرة اغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الانسان كما لا يفارقه دمه.

وقيل: يلق وسوسته في مسام لطيفة من البدن فتصل الوسوسة إلى القلب والله أعلم اهـ

قلت: وفي الحديث: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم) قال بعد ذلك: (وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً أو قال شيئاً) والقذف على الشيء لا يكون من داخله إلا أنه لا يمنع أن يقذف من داخل الجسد وخارج القلب أو من خارج الجسد أساساً

والخلاصة في ثمان نقاط

الاولى: أن التصفيد من خصوصيات رمضان فدل أن كل التأويلات التي

تصلح في غير رمضان ليست هي التأويلات الصحيحة للحديث

الثانية: أن التصفيد حسي وليس معنوي ولا يمنع أن يكون معنوياً بشرط أن

يكون حسيّاً في الأساس

الثالثة: أن الطاعات والقرب من الله تجعل الشياطين ضعيفة أمام أصحابها في

رمضان وفي غيره ولا مانع من وصف ضعفهم بأنهم مقيدون، ولكن ليس هو هذا

التصفيد المخصوص بـرمضان

الرابعة: أن تصفيدهم في رمضان ليس بسبب طاعات العباد لأنهم يصفدون

بدخول رمضان قبل ممارسة العباد للطاعات الرمضانية أساساً

الخامسة: أن الأقرب أنهم يصفدون كمنة من الله تعالى لكي يمارس العباد

طاعاتهم ويجددون علاقتهم بربهم لا أنهم يصفدون بسبب طاعاتهم التي لم

يمارسونها بعد؛ لأن التصفيد يحصل في أول دخول رمضان قبل أن يبدأ العباد

بعباداتهم كما سبق

السادسة: أنه لا مانع من وجود جن في رمضان تؤذي الناس عن طريق المس

وخدمة السحرة وربما كانوا في وظيفتهم من قبل رمضان ومستثمرون عليها في

أثنائه وتكون قوتهم وضعفهم بحسب قوة وضعف الحل المستهدف ورمضان فرصة عظيمة للتخلص منهم بإذن الله لأنه شهر القرآن والقرآن هو أعظم سلاح للتخلص من هذا العدو

السابعة: أن الشياطين والمردة المتلبسة بالإنس من قبل رمضان تصفد في رمضان وهي في أماكنها فالذي داخل الجسد يصفد في الداخل والذي خارج الجسد يصفد في الخارج

الثامنة: أن أسهل وسيلة للقضاء على العدو وهو مصفد فمن لم يقض على عدوه ويتخلص منه وهو مصفد فأنا يتسنى له ذلك بعد حل وثاقه واستعادته لقوته وطاقته، فمن لم يستغل رمضان لتحقيق ذلك فهو خسران

الخاتمة

انتهيت بفضل الله تعالى من كتابة هذه الرسالة ومع صغر حجمها إلا أنني تعبت كثيراً في كتابتها بسبب كدر المكان وضيق الزمان وأذية الصبيان فما كان فيها من حق فهو فضل الله العظيم وما فيها من زلل فهو من نفسي الضعيفة والعاجزة والله عزيز حكيم

كتبه

أبو العباس أحمد بن محمد الفايحي

في الخامس من - رمضان . ١٤٤٢

ولم أنشرها إلا في

العاشر من - رمضان ١٤٤٥